الترجمة: التعريف بالمصطلح وعرض للنظريات

Translation: terms definition and exposition of approaches.

ترجمـــة: شريـدي السعيـد سلطان

الملخص: تعطينا هذه الدراسة حوصلة حول أهم نظريات الترجمة في العالم الفرنكفوني، وتضعنا في صورة بعض التعاريف المتعلقة بمصطلح الترجمة انطلاقا من مختلف المقاربات، كما تمكننا من الاطلاع على مختلف وجهات النظر في ميدان الترجمة ومقارنتها ببعضها البعض.*

الكلمات المفتاحية: نظرية-الترجمة – تعريف الترجمة-

Abstract

The study synthesizes the main translation study theories in the francophone space, gives the definitions of translation following different approaches and compares different opinions in the translation field.

Keywords: translation theory, definition of the translation.

.

إن المجال الدلالي لمصطلح الترجمة واسع جدا، لا يشمل النصوص فحسب، بل يشمل أيضا التراكيب السميائية الواسعة ذات الأشكال والمضامين المختلفة، والتي تكونت نتيجة لتعدد الرؤى في ميدان علوم اللغة كبديل عن مبدأ الرؤية اللغوية الموحدة، وذلك بسبب تأثره بالفلسفة والهرمينوطيقا وعلم النفس. فهل نتبنى هذا المصطلح على أساس دلالته العامة المتعلقة بالنقل اللغوي وتأويل الصيغ الدلالية العامة في إطار المجتمع اللغوي[2] نفسه، أم على أساس أنه تحويل للخطاب الذهني إلى خطاب كلامي؟ ولقد عرفت لنا **جوجيانا لونغو باديا**(Geogiana lungu Bade) [3]هذا المصطلح تعريفا دقيقا وعاما وشاملا لكل التيارات الترجمية، في قاموسها الموسوم بـ **المصطلحات المستعملة في نظرية الترجمة وتطبيقها وتعليميتها**[4]، والصادر عن منشورات جامعة **فاست** (Vest) عام 2008، والقاضي بأن الترجمة هي كلمة متعددة الدلالات ومن بين دلالاتها نذكر: 1- عملية الترجمة، 2- نتيجتها، 3- النسق الذي يعنى بها.

إن قضية الترجمة معقدة بدليل أن كل منظر ينظر إليها من زاوية مختلفة. فبالنسبة إلى **فيليب تورجيه** (Philippe Torget)[5]، نقلا عن **ماغدا جون رونو**(Magda Jeanrenaud)[6]، فإن الترجمة تعني انتقال الرسالة من لغة إلى أخرى وبناء فضاء استقبال تلتقي فيه الهوية مع الاختلاف[7]. أما بالنسبة إلى **رومان ياكوبسون** (Roman Jakobson)، فالترجمة تعني ترجمة المعاني المعجمية والتركيبية للغة ما[8]. النظرية التأويلية من ناحية أخرى ترى بأن الترجمة هي عملية إفهام لمعنى جملة ما، حيث ترى

*جامعة الجزائر – 2، معهد الترجمة، الجزائر، البريد الإلكترونيّ: **cheridisaid11@yahoo.com**

لوديرير(Lederer) بأن الترجمة هي استرجاع لجوهر المعنى في إطار تكافؤ شكلي[9] ويضاف إلى ذلك على حد قول **جان دوليل**(Jean Delisle) جملة المعايير التواصلية والضغوطات المفروضة على المترجمين. ويرى **ليفن دولست** (Lieven D`hulst)[10] في مؤلف **ميشيل بالار** (Michel Ballard)الموسوم بـ **الترجمة تواصل اللغات والثقافات**[11] أن مصطلح الترجمة يتضمن تعريفين: التعريف الأول هو أن الترجمة هي عملية لغوية تؤدي إلى إنتاج لغوي مكافئ لإنتاج لغوي سابق ينتمي إلى لغة وثقافة مختلفتين. والتعريف الثاني هو أن الترجمة هي عملية ثقافية تؤدي إلى إنتاج ثقافي مقابل لإنتاج سابق ينتمي إلى ثقافة مختلفة[12]. تأخذ هذه العملية أشكالا مختلفة كالإطناب والتحليل والإبدال في نظام مختلف من العلامات الصورية والسمعية البصرية، حيث يؤكد **بارمان** (Berman) في مؤلفه **الترجمة والحرف أو مقام البعد**[13] أن الترجمة هي عبارة عن تجاوز الأصل وإقامة علاقة تحاورية مع الآخر باعتباره مختلفا. أما **بالار**(Ballard) في مؤلفه **الترجمة تواصل اللغات والثقافات** فيقول بأن الترجمة ليست مجرد عملية لغوية في حد ذاتها الترجمة تخص الخطاب المنتج بواسطة اللغات في ثقافات مختلفة؛ أي أن الترجمة ظاهرة نصية. كما يؤكد أمبيرتو إيكو(Umberto Eco) في كتاب **أغوستينو وافي** (Agostini Ouafi)**الترجمة الأدبية من مظاهر نظرية إلى تحاليل نصية**[14]المنشورعام 2006، آخذا بعين الاعتبار بعض المصطلحات مثل مصطلح **الفصد**[15] ومصطلح **العملية**[16](intentio operis)، بأن الترجمة شكل من أشكال التأويل وانطلاقا من حساسية وثقافة قارئ النص الهدف، يجب على الترجمة أن تسعى إلى التوصل إلى قصد الكاتب (L'intention de l'auteur) أوعلى الأقل إلى قصد النص الأصلي، أي ما يقوله أو ما يعرضه هذا النص مقارنة باللغة المعبر بها والإطار الثقافي الذي وجد فيه.

ويلخص لنا **لادميرال** (Ladmiral)جملة هذه المحاولات في تعريف الترجمة فيقول:" عندما نحاول تلخيص معظم التعريفات الداعية إلى التوصل إلى طبيعة الترجمة فإننا سنتوصل إلى هذه العبارة كقاعدية نمطية: الترجمة تنتج نصا هدفا مكافئا للنص الأصلي من الناحية الدلالية والأسلوبية والشعرية والإيقاعية والثقافية والنفعية"[17].

الترجمة هي حالة خاصة من الالتقاء اللغوي، أو بمعنى أعم، فهي تعبر على كل شكل من أشكال "**الوساطة ما بين اللغات**" المؤدية إلى نقل المعلومة بين متكلمين من لغات مختلفة. الترجمة هي نقل رسالة من لغة الانطلاق أو اللغة الأصل إلى لغة الوصول أو اللغة الهدف. الترجمة هي في الوقت نفسه تطبيق ترجمي ونشاط المترجم في معناه الإجرائي ونتيجة هذا النشاط (المعنى الإحصائي) وهو النص الهدف بذاته"[18]

من الترجمة بمبدأ الزجاج الملون (verres colorés) والزجاج الشفاف (verres transparents) لدى **مونان** (Mounin) إلى الترجمة الأخلاقية والمتمركزة عرقيا لدى **بارمان** (Berman) إلى الترجمة الخارجة عن المركز ومبدأ التغريب لدى **ميشونيك** (Meschonnic) إلى الترجمة حسب مبدأ أنصار

النص الأصلي **(Les sourciers)** وأنصار النص الهدف **(**Les ciblistes**)** لدى **لادميرال (**Ladmiral**)** مرورا بمفهوم **الترجمة-إثراء** (Traduction-enrichissement**)** لدى **بالار(**Ballard**)** وصولا إلى نظرية تعدد الأنساق والنظرية التأويلية التواصلية ونظرية سكوبوس، كل هذا يفرض علينا أن نتمعن قليلا في هذه التيارات.

فبالنسبة إلى **جورج مونان (**George Mounin**)**، فقد تمكن من خلال مؤلفه الذي نشره عام 1955 تحت عنوان **الحسنوات الخائنات(**Les belles infidèles**)**، من تحسيس المترجمين والمنظرين للترجمة بأهمية امتلاك ثقافة ترجمية. منذ ذلك الوقت، أصبح من المستحيل الحديث عن الترجمة بمعزل عن تلك الرؤى المختلفة حولها دون أن نربط بينها ونحاول أن نجد تفسيرا للظاهرة، حيث ميز الكاتب بين فئتين أساسيتين من الترجمات: الترجمات التي قارنها بالزجاج الشفاف (أي الترجمات التي تبدو وكأنها بلورة ثم حررت مباشرة بالفرنسية) وتلك التي قارنها بالزجاج الملون (أي الترجمات التي تحتوي على عناصر تدل على غرابتها، والتي توحي لنا وكأننا نقرأ بالفرنسية نصا كتب بلغة أخرى)

أما **أنطوان بارمان (**Antoine Berman**)** فهو من عمل من خلال مؤلفاته على خلق علم يدرس الظاهرة الترجمية بتعقيداتها. فقد قام في كتابه **من أجل نقد الترجمات: جان دون**[19]، 1955 بوصف مصطلح **النقد البناء (**Critique productive**)وأسس** بموجبه نوعا جديدا من النقد وعرض منهجه ومراحله. تنطلق طريقته من الفكر الهرمينوطيقي **لهايديغر (**Heidegger**)** على أنها نوع من أنواع الفكر الأخلاقي الشعري والتاريخي حول الترجمة. كل ترجمة تستوجب فهما؛ إذ يحدد لنا مظهرين لفهم النصوص: المظهر الأول هو التحليل اللغوي والتاريخي للتأويل التركيبي والمظهر الثاني هو التأويل انطلاقا من ذاتية الكاتب. يجب على الترجمة أن تعمل عملها (أي أن تكون لها شعرية) وأن تظل هبة للنص الأصلي (أي أن تكون أخلاقية). ويتعارض هذا النوع من الترجمة الأخلاقية مع الترجمة المتمركزة عرقيا التي تمحو كل علامات الغرابة والاختلاف وتخفي جميع مميزات النص الأصلي وتجلبه إلى الثقافة المترجم إليها. إنها تجعل البنية المتمركزة عرقيا تصطدم مع كل الثقافات في حين يجب علينا أن نتقبل الآخر بفضائه المختلف.

فيما يخص **ميشونيك (**Meschonnic**)** في مؤلفه **شعرية الترجمة** الذي نشر عام 1999، فإن الترجمة موحية لمفهوم اللغة والأدب. إنها تشكل عنصر تبادل المعارف بين الثقافات. لقد استعمل مصطلح **شعرية (**Poétique**)** لخدمة مصطلح ترجميات لأن هذا المفهوم يشير بوضوح إلى كون الترجمة تعتمد على النظرية الأدبية والنظرية اللغوية في الوقت نفسه. لقد فرضت نفسها كذلك بوصفها نظرية نقدية ضد نظرية **العلامة (**Le signe**)** التي لا تهتم بالخطاب ولا بالإيقاع بصفتهما منظمين لتاريخية النص **(**L'historicité du texte**)**. الشعرية تعترف بعمل الفكر الذي يحول القيم اللغوية إلى قيم خطابية.

والترجمة بالنسبة إلى هذا الكاتب، هي ابتعاد عن المركز**(**Décentrement**)** بحيث تجلب إلى نص الوصول بنى وتراكيب جديدة من خلال عمليات النسخ المعجمي والنسخ التركيبي (التعبيري) فضلا عن

تلك النظرة غير المشوهة للثقافة الأصلية. تعتبر الترجمة عملية **إلحاق** (Annexion) بقدر ما هي عملية تكييف مع الثقافة المستقبلة ومحو لمظاهر حضور الآخر. الترجمة **الأخلاقية** (Ethique) المتقبلة للآخر هي ترجمة **الإيقاع** (Le rythme) الذي لم يعد على علاقة بالإيقاع الشعري الجمالي، بل هو ذاك الإيقاع الذي يعكس تنظيم وطريقة عرض المعنى في الخطاب وتنظيم الحركة في الكلام وتنظيم خطاب ما بموضوع ما وتنظيم موضوع ما بخطاب ما"[20]

لقد تمكنت عملية ترجمة الإيقاع من حل مشكلة الصراع القديم القائم بين التركيز على المعنى والتركيز على الشكل في الترجمة، حيث تم تعويض المعنى **المنفصل** للعلامة (Le discontinu) بالمعنى **المتصل** للإيقاع (Le continu) ؛ أي أنه من الواجب تسليط الضوء على الإيقاع والشعرية التي تشكل **نغمة** (La prosodie) الخطاب لا على الكتابة. إن كل نص له دلالة معينة تحددها كل من علامات الوقف وترتيب أجزاء الكلام وعدد الروابط ومكان استعمالها. لكل نص إيقاع خاص ونغمة خاصة، إذ لا يجب عند الترجمة أن ننتقل من الشعرية الشفوية إلى الشفرة الكتابية. ويشدد **ميشونيك** (Meschonnic) على أن تحترم الترجمة عدد الفقرات وعلامات الوقف وعدد الجمل الموجودة في النص الأصلي، إذ يعتبر الحذف بمثابة تعتيم دلالي، وبالتالي لا نقدم اهتمامنا بالمعنى على اهتمامنا بالدلالة، لأن هذه الأخيرة متواجدة في كل أجزاء النص ولا تكونها المدلولات والمعاني فحسب بل تكونها مجموعة هائلة من العلامات التي تشمل الجمال البلاغي والأسلوب والدلالة والمفردات وعلامات الوقف ونظام أجزاء الكلام ونظام الكلمات وغيرها. النص كل متكامل فإذا ترجمنا المعنى فقط فإننا سنفقد الدلالة التي مصدرها الاستعمال الفردي للغة الخاص بكل متكلم، وبذلك يكون هناك إيقاع خاص بكل متكلم أو كاتب يفرضه على اللغة، فإذا أهملنا الإيقاع فإننا سنقع في مغبة ترجمة اللغة لا ترجمة الخطاب أو الكلام، أو سنقع في مغبة الانتقال من أسلوب شفوي فردي إلى أسلوب كتابي.

وهذه الجملة التي تعتبر بمثابة خاتمة تكشف لنا موقف **ميشونيك** (Meschonnic) من مبدأ الترجمة حيث يقول: "الترجمة تمكن من تبيين الوظائف الكاملة اللغة والأدب وهي لا تنحصر في كونها أداة تواصل وإعلام ما بين اللغات وما بين الثقافات، إنها أحسن برج مراقبة لاستراتيجيات اللغة"[21]

حاول **جان ريني لادميرال** (Jean Réné Ladmiral) في كتابه **عملية الترجمة: نظريات صغيرة في الترجمة**[22] الذي نشر عام 1994، إعطاء تعريف للترجمة من خلال الإجابة على السؤال: "لماذا نترجم؟" والإجابة التي قدمها هي أننا نترجم كي نتجنب قراءة النص الأصلي. والترجمة على حد رأيه يجب أن تكون " **غير محاكية** (Un dissimilation)[23]" أي ترجمة وفية لروح النص الأصلي ومتلائمة مع خصوصيات اللغة الهدف. وميز لنا بين نوعين من عمليات الترجمة: الترجمة المناصرة للنص الأصلي

والتي نعطي فيها الأفضلية للغة الأصلية، والترجمة المناصرة للنص الهدف والتي تكون الأفضلية فيها لمعنى الخطاب المزمع ترجمته وذلك باستعمال وسائل خاصة باللغة الهدف.

ويشير ميشيل **بالار** (Michel Ballard) إلى ذلك في كتابه **الترجمة تواصل اللغات والثقافات** حيث أكد بأن الترجمة ليست مجرد عملية لغوية، بل هي عملية متعلقة بالخطاب المنتج بواسطة لغات ذات ثقافات مختلفة. الترجمة ترافقها رغبة في اكتشاف أفق ثقافية جديدة والاستفادة من التواصل معها.

وكما ورد في مؤلف **أبود ماغدا جونرونو**(Apud Magda Jeanrenaud)، فقد طور كل من **هانس فرمير**(Hans Vermeer) **وكاتارينا رايس** (Katharina Reiss) نظرية **سكوبوس** (Skopos)، إذ يذهبان إلى القول بأن النص يكون دائما مرفقا بمقصد واضح؛ أي أننا لا نستطيع ترجمة نصوص مختلفة بالطريقة نفسها، وأن لكل نص نظريته الترجمية الخاصة به، ويترجم وفقا للوظيفة اللغوية والإعلامية والتعبيرية والدعائية الغالبة عليه. وتتناقص نسبة الخسارة في نقل المعنى إذا كان النص الهدف قادرا على أداء الوظيفة نفسها المتوخاة من النص الأصلي.

ويذهب ممثّلو نظرية تعدد الأنساق إلى أن المعنى في النصوص الأدبية لا يتغير بتغير المجال الأدبي الأصلي فحسب، بل يتغير كذلك بتغير المجال الأدبي المستهدف، حيث يكتسب النص علامة جديدة في الثقافة الهدف يمنحها له المترجم ودار النشر وغيرهما. وفي الوقت نفسه، يمكن للترجمة أن تحقق للنص وظائف لم تكن موجودة في المجال الأدبي الأصلي، حيث يتفاعل الأدب المترجم مع الأدب المستقبل تفاعلا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا مما يضمن له التعايش مع النسق المستقبل. والترجمة لا تعكس ثقافة النص الأصلي فحسب، بل تعكس كذلك ثقافة النص الهدف وموقفها من الثقافات الأخرى ومصطلحاتها وأفكارها.

وتوضح لنا النظرية التواصلية بأن المعنى يتغير بتغير العوامل الخارجية وبتغير الإطار **الخارج عن اللفظ**[24]، ولقد بدأنا مؤخرا النظر إلى الترجمة بحسب المصطلحات التي اقترحها **بورديو**(Bourdieu).[25] ويرى **جان مارك غوانفيتش** (Jean Marc Gouanvic)[26] في مقاله **ترجمة الثقافة** الذي نشر في مجلة **باليمبسيست** (Palimpsestes) عام 1998 بأن النصوص الأصلية المترجمة تدخل في منطق سوق سلعة الثقافة المستقبلة. الترجميات لها فضاؤها العلمي برهاناته ومناهجه الخاصة به، لذا فإنه من الممكن لنا أن نطبق بعض المفاهيم على الترجمة كمفهوم **المجال** (Le champ) ومفهوم **العادة**(*habitus*) و**الموروث الرمزي**(**Le** capital symbolique).[27]

وتنظر النظرية التأويلية التي طورتها كل من **دانيكا سلسكوفيتش** (Danica Selescovitch) و**ماريان لوديرير** (Marianne Lederer) **إلى** الترجمة على أنها جوهر المعنى المعاد صياغته في لغة الوصول، على حد تعبير **ميشيل بالار**(Michel Ballard) في مقاله **ما هي الترجميات؟ دراسات جمعها ميشيل بالار** (Michel Ballard)، الذي نشر عام 2006، وإلى أن دقة الترجمة تعتمد على توافق قصد

الرسالة أو البعد التواصلي مع الأشكال اللغوية المستعملة في اللغة الهدف. وبالتالي، يجب أن يلعب النص الدور نفسه في لغة الوصول ولغة الانطلاق. وتمر عملية الترجمة، في منظور النظرية التأويلية، بثلاث مراحل: مرحلة الفهم ومرحلة **التجريد من اللفظ** (Déverbalisation)[28]ومرحلة إعادة الصياغة، ويشرح لنا **أندري ديسار** (André Dussard)[29] دور المرحلتين الأخيرتين في العبارة الآتية:

"الجملة المجردة من اللفظ والخاضعة لعملية تطويق معرفي وإلى تأويل يجب أن تجد عبارة لفظية في اللغة الهدف. كما أن طريقة الكتابة واختيار الصيغ التي من شأنها أن تمثل النص بصفة أنسب في لغة الانطلاق سيشكلان المرحلة النهائية في العملية. هذا المنهج في الكتابة الذي مصدره كل من التأويل والخيارات الذاتية وتدخلات الكاتب يتلاءم مع المعايير الاجتماعية لتلبية تطلعات القراء"[30]

ويشرح لنا **ميشيل بالار** (Michel Ballard) مسردا لمختلف التيارات الترجمية، المناهج المتبعة في النظرية التأويلية فيقول: "**التجريد من اللفظ** هي المرحلة التي تظهر بين مرحلة الفهم ومرحلة تحرير النص في لغة الوصول إنها عملية معرفية تصبح فيها المعطيات الحسية معارف مجردة من أشكالها المحسوسة. ومرحلة التحرير يجب أن تكون بحسب الاختيارات النهائية للصيغ المكافئة والتعديلات المتعلقة بالكتابة الصحيحة والقواعد والأسلوب مع الأخذ بعين الاعتبار معايير اللغة الهدف"[31]

ويذهب **أمبيرتوإيكو** (Umberto Eco) في مقال **فيفيانا أغوستيني وافي** (Viviana Agostini Ouafi) **الترجمة الأدبية مظاهر نظرية وتحاليل نصية**، الذي نشر عام 2006، إلى أن الترجمة باعتبارها شكلا خاصا من أشكال التأويل ، يجب أن تجد قصد الكاتب أو على الأقل قصد النص الأصلي ، أي ما يقوله النص أو يقترحه بالمقارنة مع اللغة المعبر بها والإطار الثقافي الذي خرج منه.

لقد كان لنظريات الترجمة في التسعينيات بعد ثقافي ركز على الوسط الاجتماعي الثقافي للغة المستقبلة للنص المترجم وعلى الرهانات الجمالية والأيديولوجية التي تميز استقباله والتي طورت تصور الترجمة باعتبارها تواصلا بين الثقافات.

كل النظريات تعطي تعاريف عن بعضها البعض ولا واحدة منها تستطيع أن تتخطى الأخرى، لأنها لا تستمد وزنها إلا من علاقة الترابط والتحاور، ولا يمكن دراسة ترجمة ما إلا من خلال تصادمها ورغبة كل منها في حسن التموقع.

لادميرال (Ladmiral) على سبيل المثال هو من أنصار الترجمة الموافقة للغة الوصول أو الترجمة الملحقة،وبالنسبة إليه نظريات **برمان** (Berman) **وميشونيك** (Meschonnic) الداعية إلى الحفاظ على غرابة النص في اللغة الهدف تكشف وجود تبعات دينية وبعض الأفكار العقائدية في أصل كل ترجمة ، بسبب القوة التي ينسبونها إلى اللغة وإلى عدد قليل من الكلمات، ويرى بأن مادة الترجمة ليست الغرابة

الثقافية واللغوية للنص الأصلي. ورهان أي نص أدبي ليس رهانا ثقافيا وإنما هو رهان أدبي. وفي إطار معارضته الدائمة **لميشونيك** (Meschonnic)ووضعه لمصطلح **لغوي-ثقافي** (Langue-culture)، عمل **لادميرال** (Ladmiral) على إثارة إشكالية الترجمة في ظل الثنائية المتعارضة: **هامش اللغة**(Périlangue) و**روح اللغة** (Parolisation).[32]

صراع آخر بين فكرة **بارمان** (Berman) الواردة في كتابه **من أجل نقد الترجمات: جان دون**، الذي نشر عام 1995 وفكرة آني **بريسات**[33] الواردة في مقالها **ترجمة الثقافة**، الذي نشر في مجلة **باليمبسيست** (Palimpsestes) سنة 1998 وهي من أنصار التيار الوظيفي. وموضع الصراع هو ما عرف باسم شخص المترجم. في تعريف **بارمان** (Berman) بدا المترجم كطرف تام الفعالية شعوره كامل الحضور خلال عملية الترجمة لكن **بريسات** (Brisset)، على العكس من ذلك، مدعمة رأيها بكوننا لا نستطيع القول بأن المترجم قادر على تجاوز المظاهر الرمزية المكونة لثقافته تجاوزا إراديا. وحسب رأيها سيكون من الأفضل، على عكس ذلك، أن يتعرف على حدود حريته، وأن يفهم جيدا دور الجانب الثقافي الجمعي في العمل الفردي المتعلق بالترجمة ودوره في التعبير عنه.

بعدها يأتي التباعد بينهما بخصوص معنى الترجمة، إذ ترى بريسات (Brisset) بأن إسناد المعنى بالنسبة إلى العمل النقدي لدارس الترجمة، يعتبر عملية حتمية، لأن الثقافة هي الحيز الجماعي الذي يفرض معاييره بجدارة ويفرض كذلك مقاومات وعمليات رقابة على تأويل المعاني الكامنة والمعاني الظاهرة.وتدعي **بريسات** (Brisset) أن **بارمان** (Berman) يحركه سراب الموضوعية، لأنه يعتقد أن مناطق الدلالة لا تختلف وإنما تختلف تأويلاتها. إن هذه المقاطع تخفي في طياتها حقيقة النص، تلك الحقيقة الثابتة لأنها نابعة من النص وخارجة من مادته.

ظهر مفهوم **الأفق الترجمي**(horizon traductif) بعد احتدام الصراع، وعلى حد قول **بريسات** (Brisset) **بارمان** (Berman) لم يكن موقفه واضحا ويبدو لها أن فيه تناقضا بين الانحياز التاريخي الوظيفي القاضي بمراعاة أفق المترجم من جهة، وتأكيده على ذاتية العملية الترجمية غير القابلة للتحديد من جهة أخرى. ويكمن التناقض في كون منهج بارمان لا يولي اهتماما للعامل المنظم لهوية النص الثقافية، وبالتالي لا يولي اهتماما للعامل المنظم للعلاقة الهرمنوطيقية أو النقدية للنص.

لقد هاجمت **بريسات** (Brisset) مفهوم **فكرة** (Idée)الترجمة ذات الطابع **التجاوزي** (Transcendente)لدى **بارمان** (Berman) وتعتقد أن "فكرة" الترجمة في الحقيقة هي ما يظهره الضمير الجمعي بذاته.

واقترحت **بريسات** (Brisset) تعويض مفهوم **العامل الثقافي**[34] بمفهوم الحقيقة (وهي مركز ثقل النقد البرماني) ما دام الإفراج عن حقيقة النص لا يعطينا حلولا خارج إطار قياس مدى نجاح أو فشل

العمل الترجمي. أي إن (مفهوم الفشل الترجمي لا يتناسب مع بعض الترجمات لأنها تستدعي علاقات بين ما هو واقعي وما هو رمزي في فترات تاريخية مختلفة).

ويستعمل الاتجاه الوظيفي مصطلح المعيار الذي يدل على تلك العوامل الذاتية المشتركة المتمثلة في ترجمة القيم والأفكار العامة حيث يتقاسم فيها الأفراد قيم الخير والشر في حيز اجتماعي ما. ومن أهم هذه المعايير" المعيار الابتدائي" الذي يحدد الاختيار الأول للمترجم بين خيارين متناقضين مصدرهما عنصرين مكونين كبيرين فيخضع إما إلى النص الأصلي وإما إلى المعايير اللغوية والأدبية للنص في لغة الوصول. إلا أنه على حد رأي بارمان فإن هذا التحليل يبدو واضحا وضوح استعمالها للمصطلح السوسيولوجي "معيار". أما فيما يخص دور الأدب المترجم، فإن مدرسة تل أبيب تتفق مع الأحكام السائدة بخصوص طابعها "الهامشي"، مما أنتج نوعا من الإنكار لدور الترجمة الإبداعي والمستقل في التاريخ الغربي. ويعتبر الأدب المترجم بالنسبة لهذه المدرسة الترجمية ظاهرة أدبية هامشية تتطلع إلى التأقلم مع معايير خارجة عن إطارها، وحدود التحليل فيها هي البحث عن تلك المعايير ودراسة مدى تأثيرها على المترجمين وعلى الترجمات. كما أن تلك المعايير ليست معايير خاصة بالترجمة بل هي معايير متعلقة بكل عمليات الكتابة، لهذا السبب أصبح مصطلح " الأدب المترجم" يخلط بين النقل الأدبي والحركة المركزية للنقل والتي هي جوهر الترجمة.

ويفضل بارمان تحليل ميشونيك ويصفه بالتحليل الملتزم، ويعني **بارمان** (Berman) بذلك تحليلا يستند إلى نظرية ترجمية وكتابية واضحة ويعالج الترجمات وفق فكرة العمل الترجمي، لكن ما يعيبه على هذا التحليل هو أنه لا يكتفي بتقييم الترجمة انطلاقا من فكرة، بل يهاجم الترجمات التي لا تتفق مع فكرته بدعوى التحليل. وما يعاب على تحليله أيضا كونه غير مستقل عن شعرية الترجمة التي تعتمد بدورها على الشعرية. والتحليل هو من يكشف نقائص الترجمة، لأن هذه الأخيرة تتميز بميولها الأيديولوجية وميولها إلى التقاليد وتظهر بها عيوب نفسية المترجم. ولكن لو حدد ميشونيك أسباب هذه النقائص بدقة لما أضاع وقته في تحليلها ولا أكتفى فقط بنقدها بشدة. إن مشروع ميشونيك ليس مشروعا بناء ولا يميط اللثام على أسباب الفشل الترجمي.

وفي المقابل، أثبت **ميشونيك**(Meschonnic) في مؤلفه **شعرية الترجمة** الصادر عام 1999 وجود "غموض فلسفي" في ترجميات **بارمان** (Berman)، ويتلخص ذلك في تأرجحها بين مفهومين وهما:(الأفق والشعرية) ومن ورائهما مجالان بارزان وهما (الإبستملوجيا والميتافيزيقا). وبالتالي هناك مقاربة تاريخية وظيفية مقترنة بمبادرة الأفق الترجمي من جهة، ومن جهة ثانية، هناك مقاربة مثالية تنادي بالاستقلالية الفكرية للمترجم والانسجام الذاتي للترجمة الحقيقية التي من شأنها أن تكون عملا فنيا يقوم بالكشف عن حقيقة النص الأصلي.

ولعل كل النظريات تسعى إلى تبيين موقفها مما يسمى **"مشكلات ترجمة القواسم المشتركة عالميا** (Les universels)[35] وهي عبارة شارحة لما ورد عن ماغدا جون رونو بعد **منى بيكر** Mona) (Baker[36].وتقصد الكاتبة بذلك، على حد تعريفها للمصطلح مجموعة من العناصر التي تشترك فيها كل الترجمات وتكون ذات طابع لساني عموما. أما بخصوص هذه الدراسة فإن الأمر لا يتعلق بالعناصر اللسانية وإنما ترتبط بالمصطلحات والثنائيات المتعارضة التي تتصدر قائمة اهتمامات كل النظريات المذكورة آنفا، على غرار الثنائيات الآتية: الأمانة والخيانة، قابلية الترجمة وتعذر الترجمة، التفوق والتقهقر اللغة والكلام، الخطاب والنص، أصلي و هامشي، أنصار اللغة الأصلية وأنصار اللغة الهدف الكاتب والمترجم، الترجمة وإعادة الترجمة،إضافة إلى تصنيف الترجمات وتصنيف تقنيات الترجمة و علامة الضعف أو طريقة التعبير عن ثقافة الآخر.

لقد أسالت ثنائية **الأمانة** (La fidélité) والخيانة (La trahison) الكثير من الحبر وأدخلت العمل الترجمي قي جو من التساؤل حول إمكانية نقل المعنى، إلا أننا توصلنا إلى حقيقة أن الخطأ مرهون بكل ترجمة. كما بدا منذ القدم أن عدو الترجمة هو الإنسان وبدأت صفة خائن تلتصق بالمترجم. في تلك الفترة، الجانب الشكلي للترجمة مقارنة بالأصل لم يكن معيارا شكليا لنجاح الترجمة، بل كان معيارا لمقارنة الترجمات فيما بينها. ويمكننا القول على لسان **بالار** (Ballard) بأنه: " يجب علينا أن نتقبل فكرة أن الترجمة يمكنها أن تراعي ذاتية المترجم والاختلافات الناجمة عن التأويل وإعادة الكتابة في ميدان الترجميات، بقدر ما يجب علينا أن نتقبل تأويلات الموسيقار للمعزوفة الموسيقية" [37]

عندما أراد **ميشونيك** (Meschonnic) أن يدرس مصطلح " **الأمانة**" في مؤلفه شعرية الترجمة الصادر عام 1999، هذا المصطلح القديم والذي طالما كان الفاصل بين الترجمة الجيدة والترجمة الرديئة، طرح عدة تساؤلات حول طبيعة هذه الأمانة ومنها: الأمانة تجاه ماذا وتجاه من؟ الأمانة بالنسبة إلى اللغة الأصل أم بالنسبة إلى اللغة الهدف؟ أو هل هي متعلقة بما يقصده الكاتب؟ لقد اتخذت الأمانة في الترجمة معاني مختلفة عبر التاريخ، ومن الغريب ظهور حقيقة كون الترجمة وفق مبدأ **الحسناوات الخائنات** (Les belles infidèles) السائدة خلال القرن السابع عشر ،كانت تتميز بقدر من الأمانة. لا نقول الأمانة تجاه الكلمات والصيغ النحوية للنص، وإنما نقول أمانة تجاه القواعد السائدة في فترة تاريخية محددة وتطلعات قرائها.

كما ظل المنظرون منشغلين بمشكل إمكانية وتعذر ترجمة بعض الكلمات والصيغ والسمات الثقافية حيث عرفت **جوجيانا لونغو باديا** (Geogiana Lungu Badea) مصطلح **إمكانية الترجمة** (Le traduisible) في قاموسها الصادر سنة 2008، بأنها إحدى خصوصيات النص الأصلي التي تدل، في آن واحد، على مجموع المشاكل الصادرة عن نوعية النص الأصلي وقابليته للترجمة دون أية خسارة في المعنى أو تشويه في الشكل. أما **تعذر الترجمة** (L'intraduisible) فتدل على سمة غير قابلة للترجمة في نص ما بسبب العديد من السمات الثقافية التي يستحيل ترجمتها حرفيا ودون أن يؤدي ذلك إلى معنى

مخالف. ونقول عن نص بأن ترجمته متعذرة إذا استحالت ترجمة بعض الدلالات الخاصة به والتابعة له، كما نقول عن **علامة** (Un signe) أنها متعذرة الترجمة إذا لم نتمكن من نقلها إلى لغة أخرى.

ولقد توصلت معظم المدارس اللسانية إلى نتيجة مفادها أن الترجمة يستحيل إثباتها نظريا، إذ يلخص لنا **جيلو يونيسكو** (Gelu Unesco)[38] هذه الآراء في كتابه **أفق الترجمة**[39] الصادر سنة 1981، إذ يشير إلى أن **همبولت** (Humboldt) يقول في كتاباته أن كل لغة تشكل نظاما واسعا من الصيغ المختلفة عن صيغ اللغات الأخرى، بها أشكالا وأصنافا منتظمة ثقافيا تمكن الأشخاص من التواصل وتحليل الواقع، وأن الاختلافات الموجودة بين الثقافات المادية توسع الفجوة والفروق بين الأشخاص وتجعلها دائمة. أما بالنسبة إلى **دي سوسير** (De saussure) فإن الترجمة كلمة بكلمة مستحيلة لأن للكلمات فضاء اصطلاحيا مختلفا من لغة إلى أخرى. ويؤكد **بلومفيلد** (Bloomfield) أننا لا نستطيع الترجمة لكتاب عاشوا قبلنا بزمن طويل لأن الظروف التي من شأنها أن تورد لنا معنى الجملة تكون قد ولت.

ويؤكد لنا هؤلاء بأن بعض السمات الثقافية متعذرة الترجمة، وأن اللغات تختلف في نظرتها إلى الواقع وأنه من المستحيل توحيد النظرة بين لغتين. لكن في المقابل نقول بأنه وبالرغم من استحالة إثباتها نظريا إلا أن الترجمة تبقي ممكنة التطبيق وأن بعض الإشكاليات الخاصة ببعض الحالات القليلة في النص لا يمكن تعميمها على النص كله.

فيما يخص الفضاء الفرنسي، يعتبر **جورج مونان** (George Mounin) من أوائل الذين انتقدوا مصطلح تعذر الترجمة، في مؤلفه" الحسنوات الخائنات" الصادر عام 1955 موضحا بأن هذه الظاهرة موجودة في تاريخ الترجمة وأنها على ما يبدو كانت تستدعى لخدمة أغراض محددة. وفكرة استحالة الترجمة هي فكرة قديمة ولم يتم مراجعتها بالرغم من تعارضها مع تطبيق الترجمة، تماما مثل تلك المواقف التي نرثها عن طريق التقاليد. ويستمر **مونان** (Mounin) في تبيين وشرح الأسباب الداعية إلى هذه الحالة مبينا الطابع التاريخي لهذه البراهين، الصادرة عن طريقة تفكير معينة في فترة زمنية معينة، حيث كان هذا الخطاب المناهض للترجمة على قدر من الأهمية بغية بناء لغة جديدة وإعطائها حق الوجود، وهي اللغة الفرنسية. ويرى بأن هذه الحجج ليست قطعية ولا تتضمن حقيقة ثابتة، وإنما كانت تعتبر كذلك في فترة تاريخية ما، لكنها غير قادرة على المحافظة على مدلولاتها في زمن يختلف عن ذاك الزمن الذي ولدت فيه.

وبالنتيجة، يجب علينا أن نتساءل حول قضية تعذر الترجمة، والنظر فيما إذا كانت هذه الوضعية مناسبة مع الفترة الراهنة أم لا، والتعرف على الجانب التاريخي لكل نظرية ومحاولة إعادة النظر فيها بحسب المعطيات الراهنة.

إن اللغات والثقافات التي تتدخل في عملية الترجمة نادرا ما تكون في حالة توازن حيث تظل هناك علاقة تجاذب بين اللغات والثقافات **المتفوقة** (Supérieur) واللغات والثقافات **الضعيفة** (Inférieur). واللغة والثقافة القويتان لهما حظ أوفر للمرور بما يحملانه من خصوصيات إلى اللغة والثقافة الضعيفتان، حيث أن أوروبا لم تقم بترجمة إلا وألحقتها بلغتها وأخضعت الآخر إلى ثقافتها ناكرة في ذلك خصوصيات الأصل. بعد ذلك بدأت الأمور في التغير وذلك عندما أخذت الترجمة منحى ثقافيا تعتبر الترجمة فيه حوارا بين الثقافات، وتم تعويض الثنائية (**متفوق** Supérieur/**ضعيف** Inférieur) بالثنائية (**هوية** Identité/**اختلاف** Altérité). ومند ذلك الحين ظلت الترجمة تعمل على الحفاظ على مظهر الاختلاف وغرابة النص بغرض إثراء الثقافة المستقبلة بجعلها تتواصل مع غيرها من الثقافات. ومع ذلك، وبالرغم من اعتبار الترجمة وسيطا يتوسط حوار الثقافات، إلا أنها تظل وسيلة للولوج إلى ثقافات أخرى لها مكانة أفضل داخل الإطار الثقافي العالمي، أو بالأحرى طريقة جيدة للتعريف بالنفس.

لا يمكننا فصل اللغة عن الثقافة، إننا نترجم العناصر الثقافية ولا نترجم العناصر اللغوية، لقد وضع ميشونيك (Meschonnic) مصطلح **لغوي-ثقافي** (Langue-culture) الذي انتقده **لادميرال**(Ladmiral) استنادا إلى أبعاده المبالغ فيها، إذ يرى بأن هذا المصطلح لم يأت بجديد وإنما عوض ثنائية **هامش اللغة** (Périlangue) و**روح اللغة** (Paroalisation). كما توصلت جميع النظريات إلى نتيجة مفادها أننا نترجم النصوص سهلة المعالجة مكانيا وزمانيا، والني تسرد لنا واقعة أو تجربة تمكننا من فهم ظروف وجودها. وبالتالي فإننا لا نترجم الدلالة العامة لكلمة ما في لغة ما، بل نترجم المعني الذي تسوقه لنا هذه الكلمة في سياق معين، حيث أن للسان جانبين وهما: جانب اجتماعي تمثله اللغة التي تعتبر جملة من العلامات الافتراضية، وجانب فردي يمثله الكلام أو الاستعمال الشخصي والإرادي للغة. والمترجم هنا يجب أن يختار ترجمة الكلام لا ترجمة اللغة.

لطالما اتهمنا الترجمة بعدم مطابقتها للأصل وبعدم قدرتها على نقل كل ما نقله الإبداع الأول، وأن مصطلح **الهامشية** (Secondaire)؛ هذا العيب الذي ظل يضايق الترجمة ومادته الوهمية هما سببا تراجع مكانة العملية الترجمية. وكل ترجمة تعاني من ويلات خطيئة تغيير الأصل أو السطو على النص الشرعي. ومع ذلك فإن التيارات الترجمية التي ظهرت مؤخرا فندت هذا الاتهام وذلك بترويجها لكون أن كل ترجمة يحكمها هدف وأنها موجهة إلى قراء يختلفون عن القراء الذين كتب لهم النص الأصلي، وأنها تقوم على أساس مجموعة من العوامل الاقتصادية والتاريخية والثقافية، وأنها في بعض الأحيان وبالرغم من الدور المنوط بها، نجدها تبتعد عن الأصل.

وتصنف الترجمات بحسب الجهة التي تفضل أن تكون بها؛ إما مناصرة للغة الأصلية وإما مناصرة للغة الهدف، أي الترجمة المناصرة للغة والثقافة الأصليتين مع المحافظة على مبدأ الغرابة، والترجمة التي تفضل نقل المعنى الموجود في النص الأصلي باستعمال صيغ خاصة باللغة الهدف. هذه العبارات من وضع **لادميرال** (Ladmiral) لكننا قد نجد لها مسميات أخرى لدى أغلبية الدارسين للترجمة على

غـــرار: الترجمـــة **الملحقـــة** والترجمـــة **بالأقلمـــة**عنـــد ميشـــونيك**(**Meschonnic**)**، الترجمـــة **بـالتطبيع** (Naturalisation)[40]والترجمـة **بالأقلمـة** **(**Dépaysement**)** عنـد **بنسـيمون** **(**Bensimon**)**[41]، الترجمة **الأخلاقية** **(**Ethique**)**، أي (المحترمة للآخر) والترجمة المتمركزة عرقيا عند **بارمان** **(**Berman**)** . ولقد صنف **لادميرال** **(**Ladmiral**)** في كتابه الصادر عام 1994 تحت عنوان **عمليـة الترجمـة: نظريـات صـغيرة فـي الترجمـة، ولتر بنجامـان** **(**Walter Benjamin**)** و**هنـري ميشـونيك**(Henri Meschonnic**)** و**بارمـان**(Berman**)** فـي خانـة المناصـرين للغـة الأصـل، كمـا صـنف نفسـه مـع **جـورج مونـان** **(**George Mounin**)** في خانة المناصرين للغة الهدف.

إن اسم العلم الذي يدرس عملية الترجمة يختلف من كاتب إلى آخر، إذ يسميه جان ريني **لادميرال** **(**Jean Réné Ladmiral**)** **ترجميات** وتسميه **إيرينـا مـافرودين** (Irina Mavrodin)[42]**النظريـة التطبيقية**، ويسميه **بارمان** **(**Berman**)** **التفكير في الترجمة** فيما يسميه **ميشونيك شعرية الترجمة**. ومهما كانت هذه المسميات فإن هذا النسق يشمل كل ما قيل في العمل الترجمي يؤوله ويفسر بعضه بالبعض الآخر.

Bibliographie

- Ballard, Michel, « La traductologie, science d`observation » in Qu`est- ce que la traductologie?, Artois Presses Université, 2006.

- Dussart, André, La traductologie: objet et objectifs in Qu`est- ce que la traductologie? Etudes réunies par Michel Ballard, Artois Presses Université, 2006. Ionescu Gelu, Orizontul traducerii, Scrisul Românesc, 1981.

- Jeanrenaud, Magda, Universaliile traducerii, Iaşi, Editura Polirom, 2006.

- Ladmiral, Jean- René, Traduire : théorèmes pour la traduction, Gallimard, 1994.

- Lungu-Badea, GeorgianaMic dictionar de termeni utilizati în teoria, practica si didactica traducerii, Editura Universitatii de Vest, 2008.

- Meschonnic, Henri, Poétique du traduire, Verdier, 1999.

- Mounin, Georges, Les belles infidèles, Paris, Seuil, 1955.

- La traduction littéraire, Des aspects théoriques aux analyses textuelles, Presses universitaires de Caen, 2006.

- Traduire la culture, Palimpsestes, No.1, Presses de la Sorbonne Nouvelle, 1998.

- La traduction - contact de langues et de cultures, (coord. Michel Ballard), Artois Presse Université, 2006.

من إعداد **كريستينا هتريوك ستان** (STAN) Cristina HETRIUC طالبة دكتوراه في جامعة **ستيفان سال مار** Ştefan cel Mare في مدينة **سيسيافا Suceava** برومانيا، كلية الآداب وعلوم الاتصال. عنوان الأطروحة: Le problème de la composante multi-culturelle dans l`œuvre de Panaït Istrati : traduction, autotraduction, réécriture

تحت إشراف الأستاذ الدكتور Muguraş CONSTANTINESCU .ترجمة: **السعيد شريدي** CHERIDI Said طالب دكتوراه بمعهد الترجمة جامعة الجزائر 2 وأستاذ مقياس الترجمة بجامعة الشلف

الهوامش

[2]- لمجتمع اللغوي هو مجموع الأفراد المستعملين لوسيلة لغوية موحدة (لغة أو لهجة) بغرض التواصل

[3]- بروفيسور في جامعة **فاست** Vest غرب تيميسوارا ، كلية الآداب والتاريخ وعلم اللاهوت، قسم اللغات الرومانية ، رومانيا

[4]- ترجمتنا

[5]- لغوي وفيلسوف في جامعتي نانسي بفرنسا و بون بألمانيا ,

[6]- أستاذة وباحثة في ميدان الترجميات برومانيا

[7]- نقلا عن Jeanrenaud, Magda, Universaliile traducerii, Iaşi Editura Polirom, 2006

[8]- المرجع نفسه.

[9]- نقلا عن لوديرير (Qu`est-ce que la traductologie, 2006.)

[10]- باحث في الترجمة الفرانكفونية وبروفسور في الترجميات الفرنسية ببلجيكا.

[11]- ترجمتنا.

[12]- انظر Ballard, Michel, « La traductologie, science,d`observation » in Qu`est- ce que la traductologie Artois Presses Université, 2006

[13]- ترجمة عز الدين الخطابي.

[14]- ترجمتنا.

[15]- ترجمتنا.

[16]- ترجمة غوغل google من اللغة الرومانية.

[17]- أنظر Jean René Ladmiral, Traduire: théorèmes pour la traduction, Gallimard, 1994, p. XVIII

[18]- انظر Idem, p. 11.

[19]- ترجمتنا.

[20]- أنظر Henri Meschonnic, *Poétique du traduire*, Verdier, 1999, p.116.

[21]- انظر Henri Meschonnic, op.cit., p. 116.

[22] - ترجمتنا للعنوان Traduire : théorèmes pour la traduction

[23]-ترجمتنا

[24]- ترجمتنا

[25]- عالم سوسيولوجي وباحث في ميدان الترجمة

[26]- بروفسور في جامعة Trois Rivières كيبك.

[27]- ترجمتنا.

[28]- اقتراح كل من الأستاذ سليم بابا اعمر رحمه الله والأستاذة باني عميري.

[29]- دكتور في الفلولوجيا الألمانية وبروفسور ألماني في المعهد العالي للمترجمين والتراجمة ببروكسل(ISTI)

[30]- أنظر André Dussart,« La traductologie: objet et objectifs » in. Qu`est- ce que la traductologie? Etudes réunies par Michel Ballard, Artois Presses Université,2006, p.142

[31]- أنظر Michel Ballard, « La traductologie,science d'observation in. Qu'est ce que la

traductologie ? », Artois, université, 2006,P.206.

[32]- ترجمتنا.

[33]- بروفسور في ميدان الترجميات بجامعة أوتاوا ، كندا.

[34]- ترجمتنا.

[35]- ترجمتنا.

[36]- مترجمة مصرية ومنظرة للترجمة مقيمة في أنجليترا .

Michel Ballard, « La traduction entre enrichissement et intégrité » in La

Traduction

[36]- أنظر

, contact de langues et des cultures, Etudes réunies par Michel Ballard, Artois Presses Université, 2006, p. 162

[38]- باحث روماني في ميدان الترجمة.

[39]- ترجمتنا.

[40]- ترجمتما للمصطلحات .

[41]- أستاذ باحث في مقاطعة باريس 8.

[42]- بروفسور في الأدب الفرنسي ومترجمة في جامعة كرايوفا الرومانية.